

الرازي منهم ثم اختار من العشرة ثلاثة فكان أحدهم ، ثم إنه ميز فيما بينهم فيان له أن الرازي أفضلهم فجعله مديراً للبيارستان العسدي . وكذلك اعترف بفضل القريون وعلما أميركا وجامعاتها .

ومما يدل على تقديرهم للطب العربي ورجاله اهتمام جامعة برنستون بالحضارة الاسلامية ؛ فقد خصصت أغم ناحية في أبنيتها لما أثر علم من أعلام الحضارة الخالدين - الرازي - كما انشأت داراً لتدريس العلوم العربية والبحث عن المخطوطات وإخراجها ونقلها إلى الإنكليزية ليتمكن العالم من الوفاء على آثار التراث الإسلامي في تقدم الطب وازدهار العمران .

كان الرازي منتجاً إلى أبعد حدود الانتاج ، فقد وضع من المؤلفات ما يزيد على المائتين والعشرين ضاح معظمها أثناء الانقلابات السياسية في الدول العربية ولم يبق منها إلا القليل في بعض مكتبات أوروبا .

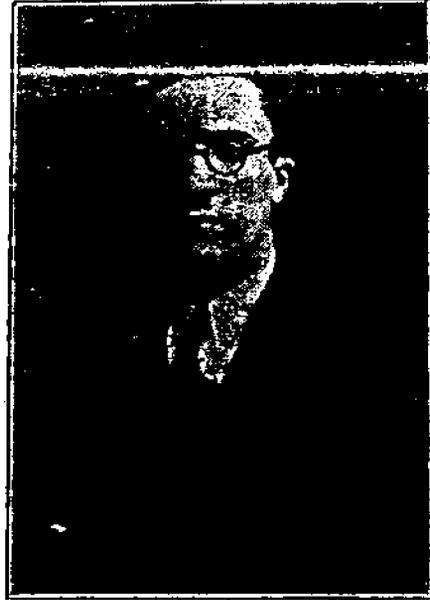
ألّف الرازي كتباً قيمة جداً في الطب ، وقد أحدث بعضها أثراً كبيراً في تقدمه وفي طرق الدواوة . وقد امتازت بما تجمعه من علوم اليونان والهنود إلى آرائه وبحوثه المبتكرة وملاحظات تدل على النضج والنبوغ كما تمتاز بالأمانة العلمية ، إذ نسب كل شيء نسيء نقله إلى قائله وأرجعه إلى مصدره . لقد سلك الرازي (كما يتجلى من كتبه) في تجاربه مسلكاً علمياً خالصاً ، وهذا ما جعل لبحوثه في الكيمياء قيمة دفعت بعض الباحثين إلى القول : « أن الرازي مؤسس الكيمياء الحديثة في الشرق والغرب معاً »

وضع الرازي كتاباً نفيساً هو كتاب (سر الأسرار) ضمنه النهاج الذي يسير عليه في اجراء تجاربه ، فكان يبدأ بوصف المواد التي يشغل بها ثم يصف الأدوات والآلات التي يستعملها . وبعد ذلك يصف الطريقة التي يتبعها في تحضير المركبات . وصف الرازي في كتابه هذا وغيره ما يزيد على عشرين جهازاً - منها المعدني - وصفاً حافه فيه التوفيق على غرار ما نراه الآن في الكتب الحديثة التي تتعلق بالمختبرات والتجارب . وفوق ذلك كان يشرح كيفية تركيب الأجزاء المعقدة ويدعم شروحه بالتلميحات التفصيلية الواضحة . ولسنا بحاجة إلى القول أن هذا التنظيم الذي يتبناه الرازي هو تنظيم يقوم على أساس علمي يقرب من التنظيم الذي يسير عليه علماء هذا العصر في المختبرات . والرازي من أوائل

أبو بكر الرازي

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

و لقد خصصت جامعة برنستون في أمريكا أنعم ناحية في أجل أبنيتها آثر علم من أعلام الحضارة الخالدين - الرازي -



الرازي حجة
الطبيب في أوروبا حتى
القرن السابع عشر
للميلاد . ويمده
معاصروه طبيب
المسلمين غير مدافع
ظهر في منتصف
القرن التاسع للميلاد
واشتهر في الطب
والكيمياء والجمع
بينهما . وهو في نظر
المؤرخين من أعظم
أطباء القرون

الوسطى كما يعتبره غير واحد أنه أبو الطب العربي . قال عنه صاحب الفهرست . « ... كان الرازي أوحده دهره وفريد عصره ، قد جمع المعرفة بعلوم القدماء ، سيما الطب ... » وسماه ابن أبي أصيبعة بجالينوس العرب .

واقدر عرف الخليفة العباسي عضد الدولة مقامه ، ورأى أن يستغل مواهبه ونبوغه ، فاستشاره عند بناء البيارستان العسدي في بغداد في الموضوع الذي يجب أن يبنى فيه ، وقد سار الرازي في تمييز المكان على طريقة مبتكرة بتحدث بها الأطباء من محل اعجابهم وتقديرهم . وضع الرازي قطعاً من اللحم في أنحاء مختلفة من بغداد ولاحظ سرعة سير التعفن . وبذلك تحقق من المكان العمى المناسب لبناء المستشفى . وأراد عضد الدولة أن يكون في هذا المستشفى جماعة من أفضل الأطباء وأعيانهم فأمر أن يمحضروا قائمة بأسماء الأطباء المشهورين فكانوا يزيدون على المئة فاختر منهم خمسين بحسب ما وصل إلى علمه من مهارتهم وبراعتهم في صناعة الطب ، فكان الرازي منهم ؛ ثم اقتصر من هؤلاء على عشرة فكان

في أكثرها متاع وطرافة . وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية واعتمد عليه كبار علماء أوروبا وأخذوا عنه الشيء الكثير وبقي مرجعهم في مدارسهم وجامعاتهم إلى منتصف القرن الرابع عشر الميلاد . وله كتب أخرى جليلة دفتت بالطب خطوات إلى الأمام، منها كتاب المنصوري الذي يحتوي على وصف دقيق لتشريح أعضاء الجسم كلها . وهو أول كتاب عربي وصل إلينا في هذا البحث . ترجم إلى اللاتينية وكانت له أهمية كبرى في أوروبا وبقى معمولاً به عند الأطباء وفي الجامعات حتى القرن السابع عشر الميلاد . وله أيضاً كتاب في الأمراض التي تمرى جسم الإنسان وكيفية معالجتها بالأدوية المختلفة والأغذية المتنوعة وقد أجاد فيه إجادة أثار دهشة أطباء الغرب . وبقي هذا الكتاب عدة قرون دستوراً يرجع إليه علماء أوروبا في الموضوعات والبحوث الطبية . وله كتاب الأمرار في الكيمياء ترجمه (كرىمونا) في أواخر القرن الثاني عشر للميلاد ، وكان الكتاب الممول عليه والمدرسي في أوروبا مدة طويلة . وقد رجع إليه (باكون) واشتهر به حتى يومنا هذا وكذلك للرازي كتاب نفيس في الحصبة والجدري هو من روائع الطب الإسلامي عرض فيه للمرة الأولى تفاصيل هذه الأمراض وأمراضها والفرقة بينها . وقد أدخل فيه ملاحظات وآراء لم يبق إليها ، ترجمه الأوربيون إلى اللاتينية وغيرها من اللغات . وله كتب عديدة وردت في كتاب طبقات الأطباء لا يتسع المجال لذكرها . ولكن من الطريف أن نذكر أن أحدها كتاب موضوعه (كتاب من لا يحضره الطبيب) وبصرف بطب الفقراء وقد شرح فيه كيفية معالجة الرض في غياب الطبيب والأدوية الموجودة في كل مكان .

واعترف الغربيون بماآثره وابتكاراته في أمراض النساء والولادة والمسائل الرمديّة . وكذلك له جهود في الأمراض التناسلية وجراحة الميرون . وفوق ذلك قال بالبدوي الوراثة .

وأختم الكلام عن الرازي بالقول الشائع المعروف :

« كان الطب معدوماً فأحياه جالينوس ، وكان الطب متفرقاً فجمعه الرازي » والرازي في الواقع لم يقف عند الجمع بل أضاف إضافات مهمة دفتت بالبحوث الطبية والكيميائية خطوات إلى الأمام .

فردى حافظ طرفة

الذين طبقوا معلوماتهم في الكيمياء على الطب ، ومن الذين ينسبون الشفاء إلى إثارة تفاعل كيميائي في جسم المريض .

ويتجلى فضل الرازي على الكيمياء بصورة واضحة في تقسيمه المواد الكيميائية المعروفة في زمنه إلى أربعة أقسام أساسية وهي : المواد المعدنية ، والمواد النباتية ، والمواد الحيوانية ، والمواد المشتقة . ثم قسم المعدنية لكثرتها واختلاف خواصها إلى ست طوائف . ولا يخفى ما في هذا التقسيم من بحث وتجربة وهو يدل على « الملم تام بخواص هذه المواد وتفاعلاتها بعضها مع بعض ... » واستحضر الرازي بعض الحواض ولا تزال الطرق التي اتبعتها في ذلك متبعة إلى الآن . واستخرج الكحول باستقطار مواد نشوية وسكرية مختمرة . واشتغل الرازي في حساب الكثافات النوعية للوائل « واستعمل كذلك ميزاناً خاصاً سماه الميزان الطبيعي » .

وجاء الرازي بفكرة جديدة تمارض الفلسفة القديمة الموروثة وهي (أن الجسم يحوى في ذاته مبدأ الحركة) وهي تشبه ما ذهب إليه (ايبينز) في القرن السابع عشر . ويعلق (دى بور) على هذا فيقول : « . . ولو أن رأى الرازي هذا وجد من يؤمن به ويتم بناءه لكان نظرية مشرفة في العلم الطبيعي ... »

والرازي يعظم صناعة الطب وما يتصل بها من دراسات . ولعل هذا من عوامل اهتمامه بالكيمياء . وهو يمتاز على الأطباء الذين عاصروه والذين أتوا بعده في كونه لمس أثر النواحي النفسية في العلاج والتطبيب . فهو يرى « . . أن مزاج الجسم تابع لأخلاق النفس » ذلك لأن لتنفس الشأن الأول فيما بينها وبين البدن من صلة ، فنجد أنه أوجب على طبيب الجسم أن يكون طبيياً للروح . فن أقاله التي وردت في كتبه : « . . على الطبيب أن يوم مريضه الصحة ويرجيه بها وإن لم يثق بذلك ، فزاج الجسم تابع لأخلاق النفس . . »

وللرازي مؤلفات قيمة في الطب ، ولعل كتاب الحاوي من أعظمها وأجلها . وهو يتكون من قسمين : يبحث الأول في الأترباذين ، والثاني في ملاحظات سريرية تتعلق بدراسة سير المرض مع العلاج المستعمل وتطور حالة المريض ونتيجة العلاج وقد عدد (ماكس مايرهوف) للرازي ٣٣ ملاحظة سريرية